



## تاريخ و جغرافيا

ذ. بوزياني الدراجي

كاتب و باحث جزائري



# قبيلة صنهاجة (الكبرى): الأصل و الموطن\*

غائبة. وتعتبر قبائل صنهاجة من أوفر القبائل وأوسعها. حتى أن بعضهم يزعم أنهم يمثلون ثلث الأمازيغ. ويقول ابن خلدون عنهم أيضا في سياق النص السابق: "هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله. لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط". ويطون صنهاجة كثيرة جدا. يقول بعضهم أنها تصل إلى سبعين بطنا. اختصرهم ابن خلدون في: أنجفه، وتلكاتة، وشرطة، وكدالة، ولمتونة، ومسوفة، ومندلة، وبنو وارث، وبنو يتيسن. ومن أفخاذ أنجفه: بنو سليب، وفشتالة، ومزوارت، وملوانة. ويزعم بعض النسابين أن قبائل: جزولة، ولمطة، وهسكوررة اخوة صنهاج من أمهم تاصكي؛ فاندرجوا ضمن بطون صنهاجة؛ بالالتحاق. وصنفهم ابن خلدون إلى ثلاث طبقات حسب ظهورهم تاريخيا:

على الرغم من الدور الخطير الذي لعبته صنهاجة في تاريخ المغرب الإسلامي؛ فإن المصادر التاريخية لم تتوصل إلى حقيقة نسبهم. وما جاء فيها.. لا يفي بالحاجة؛ وحتى تسلسل الآباء الذي نسبته ابن خلدون إلى "المحققين من نسابة البربر" لم يرد فيه اسم برنس (أب البرانس)؛ مع أنهم يقولون بانتسابهم إليهم. وجاءت هذه السلسلة هكذا: صنهاج بن عاميل بن زعزاع بن يبرين بن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو ابن مصرام بن حام. فأين إذن برنس إذا كانوا ينتسبون إليه..؟ وهذا ابن خلدون يقول أيضا: "وأما ذكر نسبهم؛ فإنهم من ولد صنهاج؛ وهو صناك بالصاد المشممة بالزاي، والكاف القريبة من الجيم. إلا أن العرب عربته، وزادت فيه الهاء؛ بين النون والألف؛ فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس؛ من ولد برنس بن بر" (1). ومع هذا بقيت الحقيقة



الطبعة الأولى: وتمثلها قبيلة تلكاتة؛ التي تولت حكم إفريقية، والمغرب الأوسط؛ نيابة عن الفاطميين. وهم من أهل المدر. فترأست تلكاتة القبائل الصنهاجية المتواجدة بإفريقية، والمغرب الأوسط. وكانوا بمثابة الدرع الواقى؛ الذي تصدى للقبائل الزناتية؛ المستميتة في قتال الفاطميين. وتدرجت تلكاتة الصنهاجية؛ من مراتب الرئاسة إلى مراتب الملك. فمن مرتبة المشيخة، والرئاسة؛ أصبح أعيانهم قادة، وأمراء؛ في ظل الدولة الفاطمية؛ بعدها أصبحوا ولاية، وحكاما في الأقطار؛ ثم انتهى بهم الحال إلى الاستبداد، والسلطان المطلق.

**الطبقة الثانية:** وتمثلها قبائل: لمتونة، ومسوفة. وهم من أهل الوبر؛ الذين اختاروا حياة الرحلة، والانتجاع؛ في أعماق الصحراء، وتخوم السودان. وقد تمكنت هذه الطبقة من تشييد دولة عظيمة بالمغربين: الأقصى، والأوسط؛ بفضل الدعوة الصادقة، والمؤثرة؛ التي تولى أمرها عبد الله بن ياسين الجزولي، ثم العصبية الصنهاجية المتناسكة. وقد استطاعوا تحقيق أهدافهم، وإقامة دولتهم بالتدريج؛ كما تقتضيه سنن العصبية. فبعد إدماج قبائلهم؛ ضمن عصبية واحدة كبرى؛ شرعوا في ابتلاع الإمارات، والممالك الشمالية؛ حتى وصلوا في أوج ملكهم؛ إلى إحكام قبضتهم على بلاد الأندلس.

**الطبقة الثالثة:** فعلى الرغم من وفرة عدد أعضاء هذه الطبقة؛ فإنهم لم يتوصلوا إلى مرتبة الملك. وهم عبارة عن مجموعة كبيرة من القبائل المتفرقة؛ الذين انتشروا في بعض المناطق من المغرب الأقصى؛ بصورة خاصة. وظلت فئات منهم في عزة، ومنعة من سلطان الدولة، وقهرها؛ بينما خضعت فئات أخرى لقهرها، وأحكامها؛ فأعطوها صاغرين حق الولاء، والطاعة، وانقادوا لمستلزمات الضرائب، والمغرم المفروضة عليهم. وقد صنف صاحب كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب؛ المجاورين منهم لمصمودة إلى: صنهاجة القبلة (أي أهل الجنوب سكان السهوب المجاورة لوادي درعة؛ حيث الشمس

الساطعة)، و صنهاجة الظل (أي أهل الجبال؛ حيث الظلال). أما ابن خلدون فيصنف هؤلاء المجاورين لمصمودة إلى: صنهاجة البر؛ بسبب مهنتهم؛ وهي الحياكة. ثم صنهاجة الدل؛ بسبب رضوخهم للمغرم. و صنهاجة العز؛ نظرا لمنعة جبالهم، واعتزازهم (2). كما يقول ابن منصور: "ولا يزال هذا التقسيم جاريا على القبائل التي تدعى صنهاجة بشمال المغرب الأقصى؛ مع تغيير في الأسماء. فهم اليوم يقسمون إلى صنهاجة غدو، وصنهاجة السراير، وصنهاجة مصباح. وهذا الفريق الأخير يقسم بدوره إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل" (3).

وقام ابن منصور بتحقيق أسماء بعض البطون من صنهاجة؛ تلك التي وردت في العبر؛ منها: أنجفة (وتسمى أيضا هنجافة؛ وبالأمازيغية هي أينكفو). وهم بطن كبير يصنف ضمن صنهاجة القبلة، وصنهاجة الظل؛ وكان ابن خلدون قد ذكر من أفخاذ هذه الطبقة: بني سليب، وفشتالة، وبني مزوارت، وملوانة، ثم أنوغة، وبجاية؛ وهي التي تسمى بها المدينة الساحلية بالجزائر. ويبدو أن أبناء هذه القبيلة ذابوا في قبائل أخرى. ويتساءل ابن منصور عن احتمال انتساب قبيلة بشمال تونس إليهم؛ تسمى بجاجة. ثم بطوية (وتسمى أحيانا بطوية). وتوجد في الجزائر مدينة باسم بطوية وهي منسوبة إليهم بالقرب من آرزو. كما توجد بهذا الاسم قبيلة مشهورة بمنطقة الريف؛ بالمغرب الأقصى. وتنقسم قبيلة بطوية إلى ثلاثة بطون؛ هم: بنو ورياغل، وبقوية، وأولاد علي.

ومن بطون صنهاجة التي حقق أسماءها ابن منصور: تاركة (تنطق بجيم بدوية)؛ وهم من قبائل اللثام؛ سكان الصحراء؛ بالجزائر، وليبيا. ثم بنو جعد؛ منهم بقية في نواحي البويرة، وعين بسم؛ بالجزائر. ثم بنو حميد؛ منهم بقية اندرجوا في قبيلة يسر؛ بدوار يسر الويدان بالجزائر. ثم بنو خليل (ويعرفون الآن ببني خليلي)؛ وهم بين بجاية، وتيزي وزو بالجزائر. ثم بنو دركون (بجيم بدوية؛ ويسمونهم أيضا بني دركول). وتتواجد بقية منهم



جنوب مدينة الجزائر .و بنو عمران بالقرب من برج منايل، وتيزي وزو .و بنو عمران؛ وهم جبالة .وبنو عمران بالقرب من ميناء جيجل .ثم فشتالة(بالأمازيغية إيفشتالن). وينتسبون إلى هنجافة؛ ولهم بقية في شمال إقليم فاس؛ بالمغرب الأقصى .ثم بنو سليب؛ تتواجد فئة منهم بجهات قالمه؛ بالجزائر .ثم بنو وارث (بالأمازيغية بنو وارثن)؛ وتوجد بقية منهم بقرب بجاية؛ يسمون آيت وارث وعلي .ثم وانوغة (أو أنوغة)؛ يوجد بطن منهم قرب يسر؛ وهم ضمن قبيلة بني مكلا .ثم وتريكة(من أهل اللثام) .ثم ورتنطق (من أهل اللثام)؛ وينتسبون إلى لمتونة .ثم بنو ورياكل(بجيم بدوية)؛ وهم غير بني ورياغل بالغين .يتواجد بنو ورياكل بجهات بجاية؛ إذ هم الذين نزل في ضيافتهم ابن تومرت بملالة؛ عند رجوعه من المشرق .ومنهم في وادي ورغة؛ شمال إقليم فاس جماعة كذلك.

مواطنهم : يقول ابن خلدون عن شعب صنهاجة : "وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد، وما قبله، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم؛ في جبل أو بسيط" (4). وينقسم الصنهاجيون؛ حسب مواطنهم، ونظام حياتهم؛ إلى فئتين عظيمتين :صنهاجة الشمال (سكان التلول، والجبال)؛ ومن أهم قبائلهم تلكاتة؛ ويسكنون بيوت الطين والحجر .وصنهاجة الجنوب(سكان الصحراء)؛ وأعظم قبائلهم هي :لمتونة، ومسوفة، وكدالة .وتمتد مواطنهم جنوب المفازة الصحراوية الكبرى؛ وحتى بلاد السودان .وهم من أهل الوب.

فأما قبائل صنهاجة الشمال فهم على طبقتين: إحداهما تمثلها قبيلة تلكاتة؛ من أهل المدر .والأخرى تتكون من القبائل الصنهاجية التي اختارت العيش في الأرياف، والجبال؛ حيث انتشرت جماعاتهم في شمال المغرب؛ بعد سقوط دول صنهاجة؛ وظلت على حالها حتى عصر ابن خلدون .وهذه الطبقة لم تتوصل إلى إقامة إمارات، وممالك؛ على الرغم من ضخامة هيكلها، وتعدد قبائلها .ومواطن هذه الطبقة مجاورة

بناحية زمورة بجوار غليزان بالجزائر؛ ومنهم جماعة بالمغرب الأقصى.

ثم بنو زروال؛ يتواجدون في الجزائر، وفي المغرب الأقصى .ثم زناكة (يسمون أحيانا إيزناكن، و إيصنهاكن)؛ وتفرق أحياءهم بين الجزائر، والمغرب الأقصى .ثم زغاوة(من أهل اللثام) .ثم كدالة(بجيم بدوية؛ وهم من أهل اللثام) .ثم لمتونة(بلام أصلية)؛ وهم ملوك المرابطين؛ ومن أهم بطونهم :بنو زمال، وبنو صولان، وبنو ناسجة، وبنو ورتنطق .ثم لمدية (بلام أصلية)؛ وتسمى بهم مدينة في الجزائر .ثم متنان؛ منهم بقية بالقرب من عين بسام بالجزائر .ثم بنو مركلدة؛ منهم بقية بين فاس ووزان بالمغرب الأقصى .ثم مزغنة؛ نسبت إليها مدينة الجزائر؛ إذ يقولون جزائر بني مزغنة .ومازالت منهم بقية؛ على الضفة اليمنى لوادي يسر؛ اندرجوا في قبيلة بني سليمان الشراقة .ومنهم أيضا جماعة في مدينة الأربعاء؛ جنوب شرقي مدينة الجزائر .ثم ملوانة (أو إيملوان)، وهم متفرقون بين قبائل عديدة؛ في الجزائر، والمغرب الأقصى؛ وبهم يسمى حمام ملوان جنوب مدينة الجزائر .ثم مليانة؛ سميت باسمهم مدينة مليانة الجزائرية .ثم مسوفة (من أهل اللثام)؛ شاركوا في تأسيس دولة المرابطين .ثم صنهاجة؛ احتفظوا بالاسم الجامع للبطون كلها .وبقيت منهم فئة بين عنابة، وسكيكدة بالجزائر، وفئة أخرى قرب وادي يسر .ثم صنهاجة مصباح؛ يتواجدون شمال إقليم فاس\*؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى صنهاجة الشمس، وصنهاجة الظل .ثم صنهاجة غدو؛ يتواجدون شمال إقليم تازة؛ بالمغرب الأقصى .ثم صنهاجة السراير؛ وهم قبيلة كبيرة، تتواجد أحياءها بإقليم الحسيمة؛ بالمغرب الأقصى؛ ويتفرعون إلى سبعة بطون ضخمة\*\*؛ هم :بنو أحمد، وبنو بشير، وبنو بوشيت، وتغزوت، وبنو خنوس، وبنو ززقت، وكتامة وبنو سدات .ثم بنو عمران؛ توجد منهم خمسة بطون بالجزائر هم :بنو عمران في الساحل الغربي لبجاية؛ بدوار أبراريس .و بنو عمران على ضفة وادي يسر، وفي مدينة الأربعاء؛ وفي



فأصحروا عن الأرياف، ووجدوا بها المراد، وهجروا التلول، وجفوها؛ واعتاضوا منها بألبان الأنعام، ولحومها؛ انتبازا عن العمران، واستثناسا بالإنفراد، وتوحشا بالعز عن الغلبة، والقهر. فترلوا من ريف الحبشة جوارا، وصاروا ما بين بلاد البربر، وبلاد السودان حجزا، واتخذوا اللثام خطاما؛ تميزوا بشعاره بين الأمم؛ وعفوا في تلك البلاد، وكثروا؛ وتعددت قبائلهم من: كدالة، فلمتونة، فمسوفة، فوتريكة، فتاركا، فزغاوة، ثم لمطة اخوة صنهاجة؛ كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب، إلى غدامس؛ من قبلة طرابلس، وبرقة" (7).

لمواطن قبائل مصمودة؛ حيث تتواجد فئات منهم بجبل درن، ثم إلى الشرق منه؛ في المحيط الذي تربض فيه: تازي، وتادلا، ومعدن بني فازان، وأكرسلوين، ودرعة، وضواحي السوس الأعلى ومدنه مثل: تارودانت، وإفري، وفونان.. إلخ (5). أما تلكاثة فهم مديون. وقد تمكنوا من تأسيس دول هامة في إفريقية، والمغرب الأوسط، والأندلس. وتتواجد أوطانهم الأولى بالمغرب الأوسط؛ من المسيلة، إلى الجزائر، ثم لمدية، ومليانة. وأوطانهم هذه هي التي تغلبت عليها فيما بعد قبائل الثعالبة، وزغبة، ك: بني يزيد، وحصين، العطاف (6). أما صنهاجة الجنوب فتمكنوا بدورهم من تشييد دولة عظمى؛ وهي دولة المرابطين. وثمة نص لابن خلدون يصفهم، ويصف أوطانهم بقوله: "وهذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر؛ وراء الرمال الصحراوية الجنوبية؛ أبعادوا في المجالات هنالك؛ منذ دهور قبل الفتح؛ لا يعرف أولها؛

## المراجع:

- 1 العبر، ج 6، ص 309.
- 2 العبر، ج 6، ص 425 و 427.
- 3 قبائل البربر، ج 1، ص 329.
- 4 العبر، ج 6، ص 309.
- 5 نفسه، ص 425 و 427.
- 6 العبر، ج 6، ص 309 و 316.
- 7 نفسه، ج 6، ص 370 و 373.

\* مقتطف من كتاب القبائل الأمازيغية: أدوارها، مواطنها أعيانها (الجزء الثاني)

(نشر دار الكتاب العربي بالجزائر، الطبعة الرابعة)

\* صنهاجة مصباح تتواجد شمال تاونات.

\*\* صنهاجة اسراير تتكون من 11 بطنا هم: تارغيست، آيت مزدوي، آيت بونصر، آيت بشير، آيت ززقت، آيت سداث، آيت احمد، آيت خنوس، آيت بوشيت، كتامة و تاغزوت.